



Empty Simple Life
Basma Al-Enezi

First Published

2007 Kuwait

All rights reserved ©

حياة صغيرة خالية من الأحداث
باسمة العنزي

الطبعة الأولى

الكويت 2007

حقوق الطبع محفوظة ©

ص . ب 35775 الشعب

basma_0@hotmail.com

طبعة خاصة





إلى إبراهيم الرويلي .. و قصة لم تكتب !





www.alkottob.com





لقد خِفْتُ أَنْ لَا تَقْنَعَ النَّفْسُ بَعْدَهُ
بشْيءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مُقْنِعَا
وَأَعْذِلُ فِيهِ النَّفْسَ إِذْ حِيلَ دُونَهُ
وَتَأْبَى إِلَيْهِ النَّفْسُ إِلَّا تَطَلَّعَا

الصمة القشيري





www.alkottob.com





أفكر

أن الانتظار مفيد
أن الحلم قابل للتبخر
الإحساس قابل للنسيان .

أفكر

أن ما لم يحدث وما قد حدث قد يتساويان
أن القدر لن يمنحنا اتكاءة حقيقية
وأن جل ما رأيت كان يحدث لي . فقط .

أفكر

أملة في هدوء الرضى
أفكر .. ضد الاشتعال
وكي تبقى الأحلام مجرد أحلام .

* من ديوان (تلف) لـ ظبية خميس





www.alkottob.com





رؤى موجعة





www.alkottob.com





تنكمش أطرافها . تشعر بالبشاعة غير المعلنة للبناء الضخم .
الطفلة التي ودعت الممرات والجدران والبياض المرعب للمكان .
عليها أن تعيد صعود السلالم الخلفية للمرة الثانية وفتح الباب
الصغير المفضي إلى عوالم الوحشة بعد ربع قرن من الغياب !
كانت في العاشرة . الآن هي في الخامسة والثلاثين . مرت أزمنة
بأحداثها وأشخاصها وتعاقبت عليها فصول . كانت تزور شقيقتها
الكبرى . الآن تزور صديقتها الحميمة . غدا لا تعرف من سيكون
الراقد وسط ضباب الأسئلة المؤلة في الداخل !
البناء ذاته لم يتغير . قبحه المستمد من ارتباطه بالمرض الصعب
يجعل الجميع يستعيز من الشيطان الرجيم عند مرور اسمه فقط
في أحاديثهم العابرة مع شعور مبهم بالخوف .
السلم الحجري الخلفي يبدو متأكلا . تخطو خطواتها الأولى في
ظلام تلك الليلة الباردة وشعور بالانقباض يملأ قلبها . تتساءل كم





عدد الذين مروا على هذه السلالم؟! لكل منهم حكايته الخاصة .
منهم من ترك المبنى وعاش مكملا باقي فصول الحكاية ومنهم من
لف بقطعة قماش بيضاء وغادر إلى الأبد مخذولا حزينا بأطراف باردة
ويد تملؤها وخزات الأبر! .

دخلت الكثير من المستشفيات للزيارة . للعلاج . للولادة .
لأطفالها . لأفراد أسرتها . لمعارفها . لكن لم تشعر يوما بالوحشة
التي تشعر بها هذه الليلة وهي تحاول صعود السلم القديم الهرم
الذي نسي خطوتها الصغيرة . كأن جنيات الليل وأشباحه يحومون
حولها بنزق . ثمة اتفاق غير معلن بين واجهة المستشفى الكئيبة
والأشجار المسنة من حولها . تردد لنفسها :

- لست فتاة العاشرة التي تخاف من الظلمة وحكايات الرعب
والأعين اللامعة المطلة من شقوق الجدران المجهولة . أنت الآن ربما
أشد ضعفا من قبل !

لسعة برد المربعانية * تباغت أصابعها . تتردد في الصعود .
التوجس ذئب يعوي وحيدا . تدرك أننا جميعا معرضون لأن تنهش
لحمنا الطري أياب الأمراض المتوحشة .

لا وجود للزوار . تنتظر أن يصعد أحدهم السلم . في هذه الليلة
العاصفة من يجازف بزيارة مريض يحلم بمقايضة رحلة الذعر بكل
ما يملك !

* المربعانية في اللهجة الدارجة موجة برد مدتها 40 يوما . فيها تهلك الحشرات وتتساقط أوراق الأشجار . ويبلغ الليل طوله والنهار قصه .





برق يناير وأمطاره . مصباح الشارع الباهت . غيمة سوداء
معلقة تطل على سطح المبنى . مواء قطة تغوص في برميل
القمامة بحثا عن قطعة سمك أو جلد دجاجة تقيها جوع الليل .
رائحة الخوف التي تعرفها . رطوبة ونفاذة كرائحة معقم
الجراثيم الذي تستهلكه بكثرة في منزلها . وتحتفظ في درج
سيارتها وعملها بمناذيله المبللة تستخدمها كلما وسوست
لها نفسها باتساح محتمل . تفتح باب السيارة وتغادر مقعدها
الدافئ وصوت فيروز الخافت ينطفئ تاركا بقاياها تتمدد على
المقاعد الجلدية ..

(وتشتي الدني

ويحملوا شمسية

وأنا في أيام الصحو

ما حدا نظرنى

ما حدا نظرنى) .

تلف شالها على كتفها وتسرع الخطى . برك صغيرة من
الماء تتحاشاها . حذاؤها الجديد يبتل . رائحة عطرها المفضل على
أطراف الشال تقاوم رائحة الخوف بتردد أنثوي . تتذكر أنها نسيت
وضعه في الحقيبة . فأل سيئ بدا لها نسيانها زجاجة بوشيريون
بغطائها الأزرق . تخشى أن تعدو القطة ذات المواء القبيح وراعها .
ليل ومستشفى وقطة هائمة ! تشعر بدقات قلبها تتسارع .





تعبّر الدرج تفتح الباب الصغير . تشعر بالحزن يتمدد وتناسل
خيوطه اللزجة . المبنى هادئ وكأن الحركة فيه نوع من الفاصل
القصير بين السكون والسكون . يبدو المكان خالياً من البشر
تتصوره حافة العالم . إما أن تنتقل منه إلى عالم آخر أو تعود
مقذوفاً من جديد إلى عالمك السابق على كف عفريت .

صديقتها التي اكتشفت ورم ثديها صدفة ودخلت بعدها في
دوامة المرض والجراحة والقلق . تشعر أنها ستفقدّها . تنكمش
مساحة التفاؤل فيها وتتفوقع الطفلة ذات السنوات العشر على
ذاتها لتجهش ببكاء صامت طويل لا يقطعه سوى موجة خوف
عاتية تجتاح أحشائها . تطوف الظنون حولها برباياتها السوداء .
لصديقتها طفلان وأمنيات مؤجلة وطيبة قلب لا تعوض . هل
ستفقدّها كما فقدت شقيقتها وبأنيابها خبر انتشار الورم في

جسدها بارداً حزينا ليزرع نباتات الصبار حول سورها وذكرها؟!
أجهزة التدفئة تعمل والمصعد ينقلها للدور الأول باهتزاز
خفيف . تزيح الشال الصوفي عن كتفيها . تتردد في الدخول .
تتذكر عندما كانت في العاشرة أن البناء كان يبدو لها أضخم
وأكثر تعقيداً مما تراه الآن . الطفلة التي عبرت الممرات فيما مضى
كانت متفائلة .

المكان بلا نوافذ . تشعر بالضيق . أخرجت من حقيبتها منديلاً
معقماً ومسحت بقايا الكائنات المجهرية من على يديها . رائحة





الطعام تملأ المر الضيق . يبدو مطهوا باعتيادية لأناس سيتناولونه
بلا رغبة .

تمشي بتناقل . ختفظ برقم الغرفة في رسالة هاتفية .
صندوق الذكريات يفتح بصيرير يزعجها . تقذف صورة قديمة في
وجهها . شقيقتها التي التهم السرطان أحشائها بقسوة
دموية رحلت تاركة ستائر الحزن الرمادية مسدلة على نوافذ المنزل
الصغير . شبابها الذي سفكته الخلايا المتمردة خلف الحسرة في
قلب والديها . والخوف في روح الطفلة التي عاصرت الحنة وخبرت
الفقد .

عندما تعي وأنت في العاشرة أن لا أحد فوق سطوة المرض
وأنت قد تكون بحكم الوراثة معرضا لمطاردة مجهولة مهما كنت
حذرا ومحظوظا . وعندما تنظر كل مساء إلى وجه شقيقتك في
بروازها الخشبي الصغير وتخيلها وهي أكبر بسنوات وربما لها
عائلة وأطفال يذهبون للمدارس ويأتون معها للزيارة أسبوعيا .
وربما كان لكما أحاديث مشتركة وأسرار عذبة تتلأأ . عندما تخبر
ذلك يسير قاربك بضعف وسط تيارات مختلفة وأنت تخشى مع
كل وعكة أن تبتلعك الدوامة التي تخضعنا لوجع لا يحتمل .
وتتأكل أحلامك الهزيلة . حتى أنك تحتاج أحيانا لعكاز من
اللامبالاة كي تقوى على المسير .

تكره ملاعات السرير البيضاء . تذكرها بالأزمات الصحية .





أيضا تتفادى زيارة المرضى في المستشفيات مفضلة إرسال بطاقة صغيرة مع باقة ورد بيضاء على أن تؤجل الزيارة لحين خروج المريض إلى منزله إلا إذا اضطرت لذلك .

جد نفسها شديدة الحساسية عندما يتعلق الأمر بالمرض . تشعر بأوجاع الآخرين وتتفاعل معها . تغشى لياليها ونهاراتها سحابة سوداء وتتهاوى حيويتها لأيام عندما يخبرونها أن أحدهم مرضه عضال .

تتجه للغرفة المنزوية . تفكر بالتراجع . الجناح خال كسفينة تؤرجحها الكأبة وسط بحر بارد في أعماقه تغفو الحيتان . تتمنى أن تنسحب .

رائحة بخور كمبودي تنبعث من الغرفة تهدي قلبها شيئا من الطمأنينة . اسم صديقتها على الباب . تتمنى أن لا نقرأه في الصفحة الأخيرة من الصحيفة ذات صباح قائم . تفتح الباب الموصل . تشعر بوخزة في صدرها . تتجه للسريـر العـالي وسط الغرفة الصغيرة . تتصنع ابتسامة عريضة وهي تقترب . ترجل عبارات الجمالة وهي تغالب شعورا طاغيا بالأسى .

تطرق برأسها للأسفل . تحت سرير صديقتها يذهلها رؤية حقل من نباتات الصبار . تحس أن الأشواك البرية ستدمي أجساد العصافير الصغيرة !

تشعر بالحر . تتجه للنافذة تفتحها . يغزو الغرفة هواء يناير .





مصباح الشارع الباهت ما زال يقاوم العتمة . بينما السيارات
تعبّر الشارع ببطء شديد .

www.alkottob.com





www.alkottob.com





حياة صغيرة خالية من الأحداث





www.alkottob.com





يصعب على المرء أحيانا

- وبالأخص :

المرء تعس الحظ صديق الخيبات -

أن يجد أمانيه تتحقق هكذا بمجرد التمنى * .

لو هيئ لك أن تعيش حياتك مرة أخرى . هل تعيشينها

بنفس الطريقة ؟ . سألتها العجوز بنبرة درامية .

بالتأكيد لا . سأحياها بشكل مختلف تماما ! . ردت بابتهاج

وشيء من الأمل .

صرخ العجوز بحنجرة مخيفة : ستخدعك الحياة ولن تعاشري

سوى الغياب .

* أسامة الدناصوري من ديوانه (عين سارحة وعين مندهشة) .





(1)

تستيقظ من حلمها المزعج على هاجس تأخرها عن العمل .
ثمّة امرأة ملتزمة حد الرعب تصحو معها وتغفو دون أن تتركها
للحظة ترمد واحدة تطوف بها في فلك جديد .

تسترجع قائمة المهام المناطة بها للساعات العشرين القادمة .
تلتصق بطرف سريرها متمنية أن تستبدل قناعها اليومي
المستهلك بأخر جديد . ليتهما تتخلص من تفاصيل يبست في
العظام وتتقمص ملامح مضيئة مدحرجة رأسها التي تختبئ
فيه عشرات المسؤوليات المعلقة على بلاط من الكلمات اللامعة .
لم تكره يوماً ذاتها الجميلة لكنها سئمت والزمن يتقدم
جزيرتها الصغيرة . ترغب في الإمساك بقطعة لوح قديمة تعبر بها
إلى ضفة مجهولة ممطرة . ما أجمل الحياة بدون أن تستنزف طاقتنا
وأوقاتنا من أجل الآخرين . يحدث أحيانا أن يتراكم عليها غبار الروتين
دون أن تملك لحظة تزيل بها ما علق على أغشية رئتيها .

تنهض من سريرها تكاد تتعثر بلعبة طفلها البلاستيكية
الملقاة منذ ليلة البارحة قرب المنضدة . تتذكر أنها تعرضت كثيرا
لصددمات الوقوع ثم تعاود النهوض من جديد . تفتح الباب الموصل
يتسلل الضوء تدريجيا لتبدأ رحلة اللهاث اليومية بفتور من
انطفأ فانوسه السحري وتدثر بالصمت .





(2)

تفتح عينيها . خدق في النسوة اللاتي يملأن غرفة المعيشة
والمر القصير . وضعت نظارتها الطبية . تظاهرت بالجرأة وتقدمت
وسط الغربيات . بدت ككائن غير مرئي .

تضغط الذاكرة . تبتسم بحزن لضيقات الساعة السادسة
صباحا . صوت خطوتها يرن في أذنها وهي تذرع المسافة القصيرة
بحثا عن وجه تتوسد فيه حلم التخلص من قناعها الذي سئمت .
نساء مألوفات الوجوه مختلفات التضاريس والأشكال بعباءات
جديدة ودرجات متفاوتة من الأنوثة يغمرن المكان بروائح شرقية
جميلة . خدق فيهن تشعر بالغبرة وفتح قلبها وحشة عاصفة
لصغيرها الذي بدا وجوده وهما عندما اندلقت وجوه النساء غازية
مكانها ويومها .

تبدو قافلة الغربيات المجتمعات من حولها كأنهن خرجن للتو
من سراديب المدينة السرية وتقاطرن من شاشات السينما ورداهات
المجمعات التجارية الحديثة ليزاحمنها في صبيحتها الشتوية
الجدباء .

الستائر مسدلة والأبواب موصدة وهي ترصد أجسادا ملونة
ووجوها بلا ندوب تتحرك في أفقها الضيق .

لسعة البرد الخفيفة تنسل من فتحة القميص إلى قلبها





مباشرة شعرت بشيء من التشويق أن تجد نفسها بعيدة عن مكانها المعتاد رغم أنها داخل حجرة معيشتها .

(3)

كحة صغيرها النائم توقظها فرعة من نومها الذي بلا أحلام ولا حنين . تصحو لتشد الغطاء الشتوي عن جسد الطفل وتخاصر برودة الهواء في الغرفة الضيقة .

يذهلها أحيانا كم هي محاصرة بالعزلة رغم الوجوه التي تتكاثر من حولها في زحام نهاراتها المتسارعة .

كانت لها أحلام عظيمة كبالونات ملونة منطلقة نحو نقطة مجهولة في سماء جميلة لا تعرف كيف فرغت من محتواها تدريجيا وتطايرت خلف الغيوم السوداء لتتساقط أمطارا متفرقة على أرض قاحلة !

النظرة المدهشة أصبحت مستسلمة . والأشياء النابضة بالحياة أمسّت لا تتحرك سوى بإيقاع بطيء . وعلبة الألوان لم يبق بها سوى اللون الأسود والأبيض !

تشعر بروحها مطوقة بضجيج خارجي وملل داخلي . تدور في فلك أيامها ومهامها باستسلام مبهم . كأنها ترس صغير في مصنع عملاق لا مجال فيه للتوقف وإلا شلت حركة جميع





الأجزاء .

لكن ثمة أخرى بداخلها تقبع في ركن قصي . لا تكف عن العويل بين حين وآخر رافضة التوقع والانشغال بأشياء صغيرة باتت تنسج من اهتمامها بها بيت عنكبوت مثبت على بابها .

(4)

من بين الوجوه الغريبة التي ملأت الفراغ من حولها تطل ملامح صديقة قديمة بدت أجمل مما مضى . من النوع الذي يغذي ذاته بالسعادة دون التوقف لتقديم أية تضحيات صغيرة للآخرين . لكن الصديقة القديمة لن تترك مكانها المهم لتبدد ساعات نهارها في زيارة امرأة تقليدية عرفتها فيما مضى ولا مصالح حالية جمع بينهما . امرأة قرضت فئران الرتابة صرة حكاياتها !
تبين وجه مدرسة اللغة الإنجليزية في مدرستها الثانوية . كانت تتوقع منها الكثير وتنبأت لها بدرج بدأ الآن سرابا . خجلت أن تقترب منها وتسرد لها باختصار واقعهما الذي لا يتجاوز بضع عبارات لا تحوي أي إجاز . عملها الذي تزاوله برتابة . ومسؤولية أسرة تستهلك طاقتها وأيامها كساعة رملية ما أن تنتهي مهمتها حتى يتم قلبها لتبدأ من جديد ! . لم يكن هناك تبرير مقنع وحقيقي للحياة الصغيرة الخالية من الأحداث التي تعيشها !





(5)

تسير وسط حلقة الغربيات المحكمة من حولها ، يا للاختلاف !
تقرر اختيار وجه يخرجها من عزلتها وذاكرتها وجسدها ، يلزمها
قناع وثوب جديد لتمثيل فصل مختلف من مسرحية طويلة .
تلتفت باحثة في العيون الجامدة كلعب الأطفال عما تتمنى ،
خلق أمنية قديمة .

خُذق فيهن !

في رحلتها القصيرة المزيفة ، يملكها الشك ، تطرق برأسها
..... خُجم عن الاختيار :
أليست لكل منهن ضجرتها الخاص بها يتمدد مع أيامها كخيوط
مطاطية كافية لنسج حياة صغيرة خالية من الأحداث !!?
تمتت بذلك وهرعت للاستعداد ليوم آخر من السباحة في بحر
ضحل برفقة كل ما هو اعتيادي . وثنوب بدا مليئا بالرقع الملونة .





عنوان قديم





www.alkottob.com





تقترب بمفردها من المكان الذي كان ميدان صراع غريب .
بخطوتها المرتبكة تقترب من أطراف عالم تضلله الأشجار
اليابسة وتملؤه العتمة . بحقيبة سفر صغيرة وشعور بانقباض
في الصدر تقترب أكثر متسائلة :

- ما الفرق حين أعود ولا أجدك ؟

وصلت إلى المدينة صباحا كالابنة الضالة دون أن يستقبلها
أحد . حتى سائق سيارة الأجرة التي أقلتها من المطار لم يكلف
نفسه عناء ترديد عبارات الترحاب المجانية . الجملة الوحيدة التي
نطق بها :

- وقت خروج الموظفين . سنعلق بالزحمة .

كانت تنظر للخارج بعين جديدة . لاحظت أن التلوث ازداد
كثافة فوق أسطح البنايات وطبقة جديدة من الدخان الأسود
بدأت تظلل المدينة . حركة السير البطيئة وقطرات العرق على





رقبة السائق وحذاؤها الضيق أشعروها بطول الوقت .

- إلى أين نتجه ؟

سألها السائق .

في آخر اتصال هاتفي قال لها :

- من سقط قبل الآخر أنا أم أنت ؟

كانت تفرد الصحف والمجلات التي يكتب بها أمامها على الطاولة المستطيلة وتمضي مساءها تفتش عن رائحتها فيما كتب . في المقابل كانت تخفي قصائدها الخجلى وخواطرها الطفولية عنه في الأدراج المقفلة كي لا يشعر كم هي مزهومة بحياتهما القصيرة معا . رغم ذلك كانت موقنة أن أصابعه المحترقة روحها لن تنسحب سوى بتمزيق شيء ما .

عندما غادرت مسكنها الصغير ذلك المساء كان البحر هائجا وغيوم سوداء تسد الأفق . لذا ضاع مركبها بين المواني وتشعبت تفاصيل الغرق .

- الأرض الضيقة تنسع ليأسى وأنتِ الأمل المنفرد تعبرين

جسر الهروب .

قال لها ذات مساء وهي تكشف له عن رغبتها في الانفصال .
احتاج الأمر إلى كثير من العذاب والامتناع حتي تمكنت من تركه نصف واع لأله . حملت أمتعتها إلى منزل العائلة حيث لم يبد أحد اهتماما بقرارها الأخير . ربما ظنا منهم أنها نزوة طارئة .





- يجب أن تمنحي دون مقابل .

كان يكرر على مسامعها هذه العبارة بعد كل ثورة منها على أنانيته .

كان الإفصاح عن أوجاعها أمامه بلا جدوى لذا كان عليها أن تلملم آثار قصة لم تعشها جيدا .

- أين نتوجه سيدتي ؟

سألها السائق للمرة الثانية .

كانت بحاجة للحظة إحباط أخيرة حتى تدرك أنه لم يعد لوجودها مبرر ووسط فوضى عالمه . الرجل الذي قلب كل شيء فيها كإعصار لم يعد ذا تأثير عليها . أفرغ روحه ببطء من جاذبيتها ليفقد سحره . سأمها العميق من عزلتها التي فرضتها على نفسها من أجله جعلها على حافة هوة . وفي لحظة القفز الحاسمة اختارت القطيعة .

و لأن لقاءهما الأول كان عاصفا كان لا بد لقطيعتهما الصيفية أن تكون موجعة . في الأيام الأولى لهروبها رأت الأشياء من حولها وقد فقدت جاذبيتها وانسحبت منها ألوانها البراقة . - إن فقدت كل شيء في رحيلك فعزائي في الذكريات التي جمعتنا .

قال لها ذلك في آخر اتصال له قبل أسابيع .

في خطوتها الأولى نحو الخارج كانت تلتفت وفكرة واحدة





تسيطر عليها : ماذا لو فشلت في الانعتاق من سطوة تأثيره عليها ؟ . وبعد ساعة من تساؤلها كانت سيارتها السوداء جتاز شوارع واسعة ومضاءة بعيدا عنه .

- الدائري الرابع

تمت للسائق بالعنوان .

كانت مهمة كقطعة نقدية قديمة مخبأة في درج مظلم مع عشرات الأشياء الصغيرة المنسية . لم يستطع المبدع أن يحتويها باهتمامه وحنانه . في كل مرة تقترب تفقد جزءا من كبريائها المزيف كما يحلو له تسميته .

بعد غياب شهور تتساءل الطفلة بداخلها عن الطيور الملونة التي قضت نحبها في الأقفاص فاردة أجنحتها . وأوراق النباتات المتساقطة حول إناء الورد وبيوت العنكبوت في الزوايا . والملح الذي رسم خطوطا متعرجة على السقف متحديا محاولات النسيان .

- لن تتجاوزي ماضيك معي مهما حدث .

قالها بثقة تميز بها دائما قبل أن توصل بابها وتهرب من عالمه .

- أي بيت هو ؟ .

يسألها السائق بحدة .

تخرج يدها من النافذة نصف المفتوحة . تطلب منه الانعطاف

يسارا . وعند بداية الحي تطلب منه التوقف . تمد بصرها بعيدا .





تلمحه في سيارته وقربه شابة أنيقة على وجهها الشاحب
إبتسامة عريضة !!
تهرب العصافير واجفة من شجرة روحها . يضطرم نفسها .
تنفض قصصهما عن كنفها . وتبدأ في رتق أثواب الغياب ! .





www.alkottob.com





في آخر الدرب المعتم





www.alkottob.com





حين يتكثف الضوء وتبدد الظلمة تتضح معالم يقظتها . تنطلق
النيات وتنطق الرغبات بعد سبات الحيرة . لا يعادل اقترابها الصعب من
نقاط ما بعد البصر سوى الفناء على أرض الرؤيا والارؤيا .
بلا مزاج غائم يسيرها إلى أبعاد اللذة ثم يقذف بها فجأة في
لجة الرهبة . تماما تحت سطح الواقع تتحرك بلا استقرار وفق حالة
غير اعتيادية كلما همت بها هتفت لها أن تتوهج .
كل يوم تسكب عطرها مزيج الليمون والليلك على معصمها .
تكحل عينيها . تبتسم لصورتها في المرآة . تحمل حقيبتها الجلدية
وتغلق باب المنزل بقوة لتهرب مؤقتا وقد خبأت في جيب معطفها
الشتوي حقيقة أنها عائدة قبل أن يتسنى لها تثبيت ملامحها .
منزله في نهاية الدرب المعتم الخالي من المارة . براميل القمامة
تطرد القطط من أحشائها بعد وجبة عشاء مقرفة . تتجاوز بهلع
صرصارا ضخما خرج للتو من بالوعة ربع مفتوحة . تتخيل الحشرات





وقد التصقت قذارتها بجلد ظهرها .
في طفولتها لم يكن يسمح لها باللعب خارج المنزل أسوة
بأخيها الذي يكبرها بعام .

” الأشرار يخطفون الفتيات الجميلات فلا يعدن أبدا ” . هذا ما
كانت الأم تردده لحظة ما تلمح دموع الرجاء تترقق في عين الصغيرة .
وعندما تضع رأسها على الوسادة تداهمها الهواجس ، تخشى
منهم على أخيها المسموح له باللعب خارج المنزل بعد المغيب .
ولأنه صبي وأطول قامة منها كانت تقنع نفسها أن الأشرار الأقوياء
بشكل خرافي لن يتعرضوا له ! رغم ذلك تنام هي خائفة وينام هو
أمنا في الغرفة المجاورة يحلم بدراجة وحلوى للأصدقاء .

الآن وهي تسير وحيدة مطرقة الرأس تحت سماء مطرة ، تكاد
تسمع وقع أقدامهم ، قادمون من منعطف ما ، من منزل مهجور ،
من الساحات الترابية البعيدة ، يدوسون بأحذيتهم الضخمة أزهار
النوير ، لا ملامح لهم ولا أصوات ! مخلوقات ذكورية لزجة ومخيفة .
ماذا لو اقتربوا منها وهي تغامر بحياتها للمرة الأولى من أجل ذلك
الذي يسكن منزلا مضيئا في آخر الدرب المعتم ؟!

” لا . لن تذهبي سيرا على الأقدام ، نخاف عليك ” . كان هذا رد
أمها على طلبها المشي من وإلى المدرسة الثانوية القريبة بدلا من
الانتظار اليومي وفي مقدورها الوصول خلال دقائق .
ظل أحدهم يوازي ظلها ، يبدو طويلا ، تعجز عن التوقف





والالتفات للوراء للتأكد . تشفق على نفسها من الصدمة . تسرع الخطى . تبرق السماء المطيرة . ما يحدث أبعد من الصدمة وأقرب من المستحيل . تتقعر حفرة جانبية . يرتعش هدبها . تستحضر ملامحه الغامضة وبوحها له بتفاصيل أحلامها . كانت على استعداد دائم للسباحة في أعماق الذات لبلوغ ذروة الشعور المطلق بالطمأنينة معه .

تتداخل الأصوات . حفيف أوراق الأشجار . نباح كلب بعيد . هزيم الرعد . والصوت الغالب لدقات قلبها المتسارعة . تهول ثم تركض باتجاه منزله المضيء في آخر الدرب المعتم . يهرولون ثم يركضون ورائها . تتيقن أنها ضعيفة وعلى وشك السقوط في فخهم .

” عودي مبكرا من منزل جدك . أنت شابة والعيون تترقبك ” . كانت تنتظرها وراء النافذة إن تأخرت دقائق عن موعدها المحدد سلفا . كانت تعرف مواعيد القلق التي تثير أمها لذا تعود دائما باكرا . سندر بلا الضائعة الموشكة على البكاء تسير وحيدة في الظلمة لتلحق بموعده متأخر وخلفها جمع من الخلوفات الذكورية اللزجة والخيفة . انطلقوا من كوابيسها لعقابها .

تتجاوز حديقة منزله . يختفي ظلها تحت سطوة أضواء النيون الخارجية . إصبعها يضغط الجرس . يهربون تنطابir ظهورهم في أبعاد الفراغ من حولها . تهدأ قليلا . ستروي له ما حدث بدقة . ستخبره أنها قد تكون تخلصت منهم ومن خوفها القديم .





تساعده في فتح الباب الحديدي ذي الصرير المزعج إلى الداخل
حيث الدفاع والأمان المرتقب . تقف أمامه مذهولة لا ملامح له .
تتحرك شففتاه دون كلمات . يقترب منها . يحدث ما كانت تخشاه
منهم طوال الطريق وطوال الوقت !!





يوم طويل

(إلى الناجين من الأسر بأعجوبة)





www.alkottob.com





على الرمل الساخن مازلت أزحف ببطء وألم وتعب لا يفوقه
تعب . اغرورقت عيناي بالدموع حينما رأيت البيوت البعيدة
المتلاصقة التي تنتصب على أسطحها الهوائيات . بدأت أفقد
الإحساس بيدي المتشققتين كما انسلخت ركبتي واكتسحني
الظمأ . طوال الليلة الماضية وأنا أركض بكل طاقتي . ثم حوّل
الركض إلى مشي حذر ثم زحف هلع . والآن بيني وبين تلك المنازل
الصغيرة الملونة ذات الأبواب والنوافذ المتشابهة . والتي عشت في
أحدها شارع رئيسي أسفلته يبيت الهواء الحار إلى أعلى في هذا
اليوم الطويل من شهر سبتمبر .

هذا الشارع الذي لا حياة فيه كم قطعته سيارة أبي أثناء
توصيلنا أنا وأخواتي الثلاث لمدارسنا في المنطقة المجاورة . وقد ضم





يوما سر نزهتي الوحيدة معه قبل أن تحل الكارثة ! يومها كنت قلقة وعاجزة عن استيعاب حقيقة أنه مغرم بي إلى حد بعيد .
كنت حفيذة أخرى للشمس التي لا تعرف الرحمة . زواج مستحيل . تمرد فاشل . والهروب من بريق عينيه ونكهة القهوة في صوته صعب . كنت عالقة بين تراث عريق من المنوعات وبين عشقه الغريب لي .

- من الأفضل أن تنسي الموضوع بأكمله فاختلفكما أعمق اختلاف تاريخي من أجله قامت حروب . ولن يمكنك فعل شيء تجاهه . والمشكلة تتجاوز موافقة والديك . إنه مجتمع صغير ولن يختلط فيه الزيت بالماء مهما فعلت .
هذا ما نصحتني به أختي الكبرى التي بحت لها بسري وأنا خائفة أن تفشييه يوما . ليلة قررت نسيانه قرعت الطبول وقررت عقارب الساعة أن تتوقف وينسانا الزمن !

مازلت أزحف ببطء وألم وتعب لا يفوقه تعب . لا أحد يعبر الشارع . سكون كامل . وحدها الصراصير تتحرك في جميع الاتجاهات . على حائط المدرسة في الجهة المقابلة شعارات وعبارات حديثة غاضبة لم تكن موجودة قبل شهر . أظنه كتب إحداها أو حرض على كتابتها .. أين هو الآن ؟!





ملابسي الممزقة القذرة ، وجهي المعفر بالتراب والهوان .
أنفاسي المتقطعة كل ما فيّ يدل على ما حدث لي هناك ، ولأنه
مجتمع صغير سيعلم الجميع وسيصمت الجميع !
استنزف الهرب طاقتي . تكومت على حافة الرصيف أرقب
الرصيف المواجه . بضعف نتبادل الصمت والنجل والحزن . أمني
نفسي برؤيتهم والدخول إلى تفاصيل عالمهم من جديد .
- منذ ولادتك وأنا أعلم أنك مختلفة عن أخواتك الثلاث . لون
شعرك . نظرة عينيك الحادة . الهدوء العميق الذي يسكنك والذي
يرهبني أحيانا فأتصور أنك تملكين ما تخفينه دائماً .
أمي أحببت اختلافي ولم تطق غموضي الذي لم يكن سوى
محاولة للفصل بيني وبين الآخرين . إلى أن جاء من يملك مفاتيحي
ويحفظ طلاسمي .. هل هو على قيد الحياة؟!
تحتك ركبتي بذرات الأسفلت الحشنة . تكويني هذه الظهيرة
بأشعة الشمس العمودية على ظهري والظماً . تسيل الدماء من
ساقتي . أقاوم آخر معاول الانهيار . أحلم بسريري الأبيض . بوجوه
صديقاتي في ألبوم الصور . برائحة قطتي السوداء . ينهمر الملح
على جروحي . أضع يدي على الرصيف الآخر !

الغبار استوطن المنزل . مقابلض الأبواب . الأدرج . طاوله





الطعام . خزائن المطبخ . وبيوت العنكبوت انتشرت في الزوايا .
عبق بخور أمي مازال يقاوم .
وضعت رأسي على وسادة أبي .

- ابنتك عادت ولم جدّ أحدا .. أين رحلتكم جميعا ؟!
المؤكد أنهم رحلوا فلا أثر للحياة هنا في المنزل الذي كان يضح
بأصواتهم ووقع أقدامهم ورائحة طعامهم وصدى ضحكاتهم .
حتى النمل الذي كنا نشتكى من مشاركته لنا غرفنا اختفى .
على سرير أبي أغفو . ذاكرتي تتمدد في فراغ موحش .
في هذا المكان المهجور كأنني ولدت لأعيش العزلة مع آثارهم .
في غرفة أخواتي الملابس ملقاة على الأرض . الخزائن فارغة . الأدراج
مقفلة . حقيبة أختي الكبيرة ذات الأرقام السرية موجودة أسفل
سريرها . ترى لو فتحتها انصاعا لرغبة قديمة ما الذي سأجده
من الأسرار ؟!

الشيء الوحيد الذي لم يفقد الحياة بعد جهاز الهاتف . أحاول
استرجاع رقمه :

- ألو .. الرقم الذي طلبته خاطئ .
- قالت لي السيدة الأولى .. صوتها كان حزينا .
- كلا يا عزيزتي ولا وقت لدي لتبادل أحاديث هاتفية .
- قال لي الثاني . كان خائفا !
- محاولة .





محاولتان .

ولا أحد هناك ! يتصاعد رنين الهاتف في منزله . يتضخم
بحيث يطفى على الأصوات . لكن دون جواب ؟

جائعة . قلقة وحيدة . مشوهة . بعيدة عنك . رغم ذلك أنا
أفضل حالا ألف مرة من لا زالوا هناك .
أقف تحت قطرات الماء محاولة تطهير جسدي من الجراثيم
العالقة به . الماء ينحدر وقد اسودّ لونه . الماء الساخن يمر على
جروحي فيوقظها . يمر على رأسي جارفا معه التراب والشعر
المتساقط . يمر على وجهي يذكرني بالعطش الذي لازمني هناك .
أمام المرأة أتفحص نفسي يذهلني الاختلاف أرثدي ملابسني
بعدها ألقيت بأسمالي في القمامة . وفي داخلي يقين أن صورتها
لن تفارقني طوال العمر .

أفتح باب المنزل أتوجه نحو منزل الجيران . أطرقت بابهم . لا أحد ؟
المنزل الثاني أطرقت الباب بقوة . لا أحد !
المنزل الثالث أطرقت الباب بعنف . لا أحد !!
أتوجه للحى المجاور أطرقت أبوابهم واحدا واحدا بعناد وشيء من
الأمل . لا أحد !!

المدينة خالية . السيارات واقفة بلا ركاب . الأسواق مشرعة





بلا ناس . محطات الإذاعة والتلفزيون لا تعمل . وحدها الصراصير
ترتع في المدينة !
عدت إلى المنزل أخرجت علب السم الأبيض حوطت الخارج
والنافذ بكميات كبيرة منه . أحكمت إغلاق البواليع . كنست
أجنحة الصراصير قرب المدخل . أترقب عودتهم جميعا ... كما لو
أنني أنتظر المطر .





بلا راحة





www.alkottob.com





” إنه لن يطرق بابك فلم الانتظار ؟ عليك الاستمرار بالتنفس مهما كان الهواء ملوثا ” . تلملم بقايا سهرتها لوحدها ليلة البارحة . تمسح آثار الشمع من على الطاولة . تغسل أطباقها . تكوي ثيابها على عجل . تنظر للمكان من حولها . تبتسم ثم تفتح باب صومعتها قاذفة جسدها وروحها وسط تعب العالم . تقود سيارتها بمثل ما للضوء من سرعة في شارع حزين تتراكم الأوساخ على جانبيه . على امتداده بيوت متراسة لطالما توقف خيالها عندها في طريق الذهاب والعودة من العمل . البيت الأصفر كونت انطبعا عن صاحبه أنه فنان أو يملك بالفطرة ذوق فنان سريالي . البيت الضخم ذو الواجهة الزجاجية الزرقاء تتخيل قاطنيه أسرة كبيرة ممزقة تسهر على السلالم الرملية جموع أفرادها . أما المنزل الواقع على الزاوية ذو الحديقة الكبيرة فلا شك أن لساكنيه قلوبا طيبة كنباتاتهم الغربية .





كم أضععت من وقت وأحلام وأرصفة وهي تحاول مد بصرها إلى خلف النوافذ المختلفة في مدينة جدرانها العازلة غير قادرة على حفظ الأسرار أو منع الأصوات من التحليق خارجا . أولئك الذين لاحقتهم بقصصها وملاحظاتها الطفولية ينفضون من حفلها ولا يشكل وجودهم السابق سوى حصة زائدة في إحدى تلافيف الذاكرة . ترى كم واحد منهم فقد حاسة الشم ؟

في عيادة الطبيب تقدم بطاقتها ورسوم المراجعة للممرضة وراء مكتب الاستقبال . تستفسر عن موعدها المرتقب . تخبرها الممرضة أن أمامها الكثير وأن الازدحام يبدو غريبا هذه الأيام .
جلس على المقعد الوحيد الشاغر وسط عشرات النسوة .
لا أثير للرجال مع أن الطبيب متخصص في أمراض الأذن والأنف والحنجرة . تلتقط مجلة نسائية ممزق غلافها وتتظاهر بالقراءة .
في بداية البداية راوغت إحساسها أن ثمة شيئا في طريقه للانطفاء مثلما حدث لأشياء كثيرة في حياتها بدت براقه وجميلة وأحيانا مألوفة وحتمية ثم خبت وتلاشت تاركة وراءها إضاءة خافتة لا ترشد تائها إلى الدرب ولا تغري للالتفات إلى الوراء .
في محطة الوقود اعتادت فيما مضى أن تحكم إغلاق نوافذ السيارة حتى لا تتسرب الرائحة المزعجة إليها . الآن بإمكان عامل





المحطة سكب برميل من الوقود عليها ولن تشعر سوى بالبلل .
لم تعد تشعر بالغثيان من رائحة الأجساد الكريهة في زحمة
الأسواق ولا برائحة النفايات المنسية في الشوارع الداخلية
ولا الننانة الصادرة عن أنابيب المجاري المكسورة . أيضا لم تعد تفرق
رائحة عطرها أو نسمات الصباح الأولى أو طعام أمها ولا حتى
وسادته المشبعة برائحة مميزة .

يفتح الطبيب باب غرفته يتوجه للممرضة طالبا منها عددا
من الملفات ، يحملها معه ويغلق الباب خلفه بهدوء . تمنى
لو اختفت جميع النسوة الجالسات حولها حتى تنتهي فترة
انتظارها . الشابة الجالسة قبالتها تخرج من حقيبتها هاتفها
النقال ذا الرنين العالي . تتمتم ببضع كلمات ثم يحتقن وجهها
وترجف أصابعها فتعيد نقالها إلى مكانه . يبدو أن من أزعجها
رجل ما ، تحسدها على أن هنالك من يهتم بها حتى وإن كان
مصدرا لألها الذي بدا على وجهها . بالتأكيد هو أيضا مصدر
لسعادتها في أوقات أخرى .

” تأت الآن أو لا تأت أبدا ” . ما زالت تتمتع بذاكرة قوية تمكنها من
استرجاع تفاصيل ما حدث ... كانت تقف أمامه على الأرض الباردة
حافية القدمين تحرك يديها في جميع الاتجاهات وبصوت متهدج





حاولت أن تعبر عن كل ما أزعجها . كانت أشد ضعفا وأكثر حزنا من أن تنظر إلى علاقتهما من خلف النافذة التي تحطم زجاجها أو حتى تحاول فهم كلماته المقتضبة أو نظراته الغامضة . في الخارج كان السكون تاما فيما سحب الدخان الملوثة من المصنع القريب تعبر فوق المباني الشاهقة وتظلل الشارع قبل أن تختلط مع ملوثات النهار الأخرى . وعند أول شعاع ضوء رمادي خرج دون أن ينطق بكلمة . لم تحاول أن تستوقفه . شعرت بنفسها منبوذة عاجزة عن الاستمرار في مطاردة آثار رجل غريب .

” إنني بخير ” . كانت تؤكد ذلك لزيادة الاطمئنان . عليها أن تختار الجهة التي ستسلكها . من بعده أفضت نفسها أن الوقت لا يزال مبكرا . الآن بعد أن فقدت الإحساس بروائح الأشياء أدركت أن داخلها تمرد على حالة صمتها .

تخرج المريضة من غرفة الطبيب بعد وقت طويل . تدخل بعدها سيدة في العقد الخامس من العمر ملامحها فاترة وخطوتها بطيئة . تمسك طرف عباءتها السوداء بيدها اليمنى وفي اليد الأخرى حقيبة زرقاء صغيرة لا تناسب سنها . أمامها الكثير لتتأمل لكنها ستصمد . هكذا قررت فالتزامها اليوم بموعدها مع الطبيب وإجرائها جميع التحاليل المطلوبة -





رغم كرهها للأطباء وعياداتهم - نابع من زعرها أن يعود فجأة بعد غيابها فتجد نفسها عاجزة عن استنشاق رائحته التي تملأ حياتها بالحياة .

في المرة الأولى لزيارتها للطبيب سألتها إن كانت تعاني ضغوطا نفسية فأجابت بالنفي . أمها أيضا تحاول معرفة سر الحيرة في عينها لكن دون جدوى . صديقتها لا تزال تحاول التوصل لاستنتاج ما من خلال ملاحظتها غيابها الدائم وهي لا تزال مصرة على الاحتفاظ بجميع أسرارها في صندوق مغلق لا سبيل لاختراقه .
” معه كنت اشعر بجمال كل شيء وبؤس وشقاء كل شيء أيضا ” . منذ أن فقدت حذرها وهو يمارس سيطرة مشؤومة عليها . كالدمية يحركها بخيوط لا مرئية في جميع الاتجاهات مما جعل أعماقها تخفق بغيظ خفيف . أحيانا تود لو تصرخ فيه أن يعيدها إلى حقيقتها . أن ترد إلى ذاتها وأن تتخلى في المقابل عن السعادة التي أوهمت نفسها بالحصول عليها وسط انبهارها به . فرصة أخيرة للعودة للوراء ستكون عادلة . ستتنازل عن هبة الوله وسر الأجداب الخفي . الآن بعدما حدث بينهما ما حدث بدت لياليها مظلمة وكئيبة . والخارج مصدر عقوبات يومية تواجهها وحيدة . وأيامها الفارغة من صوته وصورته جعلتها تتدثر بالمزيد





من الكآبة وفقدها حاسة الشم خسارة جديدة تضاف لقائمة
طويلة من الخيبات .

الجميع ينتظر . والمرضة كأنها نسيت أمرهم وانشغلت
بالتنقيب في الملفات أمامها . الوقت محنط كمومياء في هذا
المكان وفي هذا اليوم .
بفتور تنادي اسمها المريضة . يحين دورها . تنهض مستسلمة
لواقعها . تتساءل ما الذي ستفقدده في غيابه أيضا !!؟





حلم يمرق





www.alkottob.com





(هي)

سرت القشعريرة في جسدها ، الوحدة تخزها بأشواكها
الصحراوية والظلام يتسيد المكان الخالي إلا من الصناديق المهملة
التي تلوذ بها ذكريات مزوجة بالغبار والصمت وقطرات العرق .
تفكر في أن ما يحدث لها لا يمكن أن يكون من ضمن ما ستحويه
حياتها لاحقا . على الزمن أن يتوقف لتسدل الستارة على حلم
شتوي لن يتكرر . ليس بسبب الوحشة أو الاحتقار الذي استحوذ
عليهم أو حتى عنصر المفاجأة بل لأنها لم تتخيل نفسها يوما
مهملة معاقبة في القبومع بقايا المنزل القديمة غير المحد
مصيرها ، مستلقية على لحاف صوفي ترقب بابا قد لا يفتح
وجرحا قد لا يبرأ !





(الأخرى)

صدقني يا ربي إن أي عقاب ستحظى به لن يكون عادلاً إن قيس
بمقدار خوفاي وألمي . أتمنى أن تنسحب وتترك لي سحبي وسمائي
بلا صراع ولا صراخ ولا دموع . الثور الذي أعجبت به الحلبة سينتظر
فارسته هذا المساء ولن تأتي سوى بوجه مشوه وقلب ممزق وخطوة
نازفة . هل أبدو سيئة السريرة إن أحرقت جناحي الفراشة المذهبة
التي تخوم حول طبقي ولا رغبة لي بالتها مها حية . فقط أحاول
تصحيح مسار رحلتها الفاشلة وإنقاذ ما تبقى لي من الأغصان
الغارقة في الظل .

(هي)

فراغ يغزو روحها تحاول أن تنسى ما حدث . أن تدع ليالي الشتاء
تعبّر بحر الأوجاع بقارب خشبي صغير دون التوقف عند تفاصيل
الواقع المر . من الأفضل أن تسمح لأحزانها بالنوم التدريجي
وتواجه مصيرها المجهول بالصمت والإنكار . وجهه الذي طال غيابه
يستحيل عبثاً آخر ويمسي ذنباً لا يغتفر . ليتها انسحبت قبل أن
تتهجى لذة عشقه . ليتها راوغت حبال الهوى قبل أن تلتف حول
رقبتها .





(الأخرى)

دائما وأبدا كنا غريبين رغم القرابة والتي لولاها لما ارتبطنا .
له ينحني الليل المليء بالتنهيدات ولي يستفيق نهار الجري وراء
الأطفال وأواني الطبخ وأكوام الغسيل . كنت أستمتع بدور الأم
الشابة نصف المتعلمة . أتففس الهواء الخارج من رئتيه والمشبع
برائحة التبغ وألمع حذاءه وأبتسم بطيبة عندما يشتمني في
لحظات انفعاله . بالنسبة لي هو صمام الأمان وبطاقة السحب
الآلي وظهر ضخم نستند عليه وقدر مفروض .

(هي)

تمر في خيالها المشوش أشباحهم تترجل من منفاها نحوهم .
يديرون ظهورهم وينسحبون تاركين أعينهم للتلصص وأصابعهم
للتفتيش بين ثيابها عن آثار السقوط وأسماعهم لرصد تغير نبرة
الصوت المبحوح . ما يحدث الآن لا يتعلق بضحكة أنثوية عليهم
قمعها قبل أن تصل إلى منزل الجيران ولا مشكلة ثوب ضيق خل
بمقص . إنها رائحة الرجل الغريب الذي سرق تفاح البيت ولوث بياض
الكذبة ! ستعاقب بلعق جراحها أطول فترة ممكنة فزواجه منها
مرفوض وجذوره الممتدة في أعماقها عليهم انتزاعها إلى الأبد .





(الأخرى)

الخوف من نوبات غضبه عندما يعود من الخارج متصيداً أخطائي هو الشيء الوحيد الذي كنت أظنه يهدد استقرارنا كعائلة صغيرة تسكن في كنف العائلة الكبيرة حيث لا يكف الأطفال عن الشجار ولا تهدأ مناوشات زوجات الإخوة حتى يعدن بخطط جديدة . الديوانية مفتوحة على مدار الساعة وأصدقائه يقيمون فيها من مغيب الشمس حتى شروقها . من النادر أن نجمعنا مائدة غداء أو عشاء أو رحلة إلى الخارج .

(هي)

حايلت مشاعرها بمحاولات الغياب فعادت اللهفة أكثر تبرجا . لم يكن هناك ما يمكن أن يفض اشتباك أصابعها سوى غيبوبة النوم . كانت تشعر بالذنب إن لمحت في أوقات صحتها أفراد أسرته يختبئون كنجوم الفجر في معطفه الواسع . وعليه أن يحملهم معه إلى الأبد . وهي المرأة الغريبة لا رغبة لها في مزاحمتهم والوقوف على رصيفهم الوحيد . وما نالها وما طالها محفور في دهاليز الروح . هو سحر البوح ووهج الحقيقة .





(الأخرى)

هو أو غيره من الرجال حركهم غرائزهم في لحظات ضعف
بشيرية لا تترك سوى ندوب صغيرة . لن أشعره بأني رصدت لحظة
احتراق قدميه وشاهدته يهتف محتفلا بامرأة تتشح بالسواد
وتحسست في ظهري طعنة خنجره سأبقى في عينيه الواسعتين
الزوجة الضعيفة اللامبالية . فقط سأغسل ملابسه الملوثة
برائحتها بسواد الليالي التي مرت عليها وهي تتلقى العقاب من
قوم لا تكشف نساؤهم وجوههن للغريب . لقد حملت تابوتها
ووضعت على عتبة دارها وهذا ما كان ينبغي علي فعله .

(هي)

يفتح الباب الموصل منذ أيام . يدخل أفراد القبيلة الأب والعم
والخال وابن العم والإخوة وفي آخر الصف الطويل الأم والأخوات
وفي يد كل منهم أداة تعذيبه الخاصة وفي عقل كل منهم ألف
مخطط للعقاب والجلد ... يفتشون عنها بين الصناديق والحقائب
القديمة يسלטون الضوء على كل بقعة بحثا عنها فلا يعثرون إلا
على ثياب ممزقة وقلادة لازمتها منذ الطفولة .. هل هربت لحقل
بعيد ونبع بطهرها !!؟





www.alkottob.com





غبار الخارجين من نهاراتنا





www.alkottob.com





يهرب من الزحام

يخبئ وجهه بين يديه . يبحث عن مكان آمن بعدما أنهكته
الضوضاء واستنفدت الأماكن المزدحمة طاقته على التحمل . ذرات
الغبار المتطايرة من حوله كعاصفة صغيرة . صراخ أطفال الجيران
وهرولتهم فوق سقفه المنخفض . عبث وتهور سائقي المركبات
في الطرق الطويلة التي لا يبدد وحشتها سوى اجترار الذكريات .
يحفر نفقه الخاص ليجتاز المسافة ما بين هدوئه المحتمل وبشاعة
الضوضاء الخارجية !

وحين يغلق عليه باب حجرته

يتأكد أنه قادر على السيطرة على حبال الهدوء يلفها حوله
وهو يبحث عن الشقوق التي تتسرب منها الأصوات العابرة من
الشارع . يغلق صنادير المياه بإحكام . كم يكره صوت قطرات الماء
وهي تصطدم بحوض المغسلة بتتابع أبدي . يغلق نوافذه ويسدل





ستائره الطويلة . الضوء المبهر غالبا ما يزعجه ! بمسح مفاصل
أبوابه بالزيت أسبوعيا لأن صريرها يثير أعصابه .

يسمعه الجيران لساعات طويلة

و هو يستعطف آخرين

و يرجوهم المغادرة

يحاول الاستمتاع بلحظات وحدته دون طرقات مفاجئة على
بابه . ورنين هاتف غير متوقع . أو مواء قطّة عنيده تخوم تحت نافذته
منذ أيام . يحاول الاسترخاء لكن ما أن يغمض عينيه حتى يستنفذ
صوت عقارب الساعة قرب سريره يفكر في إيقافها أو التخلص
منها واستبدالها بمنبه إلكتروني أنيق . يتذكر أنه لم يغلّق هاتفه
النقال ولم يطفئ أنوار الممر المفضي إلى غرفته ونسي جهاز
التلفاز يعمل في الغرفة المجاورة . يحاول مرة أخرى أن يدخل في
غيمة سلام وردية . تنهاوى الصور من ذاكرته الهشّة . يشهق
الظلام وتغادر البجعات بحيرة الراحة . أصوات متنافرة لأشخاص
لم يروقوا له . نبرة أصواتهم عالية في حال صراخ دائم كأنهم
في معركة لا تنتهي وكان عليه التعايش معهم ومجاملتهم .
بعد سنوات تيقن أن سر عدم الجذابه لهم أنهم سببوا له الإزعاج
دون قصد ! لم يحتملهم انسحب تاركا لهم مساحات بيضاء
شاسعة سيعمدون إلى تلويثها ببقايا عبارات وكلمات فاقعة
وشيء من الحدة .





كانوا متأكدين أنه وحده

و أنه لا يعرف أحدا

رغم حبه للجميع وحبهم له . إلا أنه يفضل أن لا يقترب كثيرا من الآخرين . له دائرته الخاصة . يتحكم في قطرها بكل عجرفة . يسند رأسه لجدار المعرفة الضخم . ويحلم بأن يمشي متزنا وسط طوفان الضوضاء والبرك الموحلة . في مدينته المعدنية لا مكان للهدوء . جتاج رهافته طحالب الفوضى . في المتاجر الباهرة الإضاءة الواسعة ذات الواجهات الزجاجية والأررف اللامعة التي تصدح بها الموسيقى العبثية بشكل مجنون . في الشوارع التي يسرع فيها الجميع بلا هدف وتشعر بأنك تقود سيارتك وسط معركة غامضة . في البحر الذي يردم عنوة ولا يسمع نحيبه أحد . في الأماكن التي تهدم بسرعة وقسوة . في واجهات البنايات العالية المشوهة التي تشيد بعد شهور من الإزعاج والتلوث لكل ما يحيط بها . وللرنات البشعة لأجهزتهم النقال . وللأزدحام الذي يفقدك القدرة على التركيز ويستهلك بهاءك .

كل يوم عند عودته يحاول إزالة ما علق من قطرات السواد وأشلاء النهار عن ثيابه . ويسرب من أذنيه كل ما لم يرق له من كلمات كبيرة تغطي الخواء وصغيرة بلا معنى وأصوات مختلفة لأشخاص وآلات ومحطات إذاعية وقنوات فضائية تعمل على مدار الساعة وثرثرة صباحية معتادة .





يدق وتد خيمة السلام ويسمح للكل بالتسرب خارجا . كل
منهم يحمل صرته ويغادر مؤقتا .

بعد دقائق

يسمعون أصوات أقدام

تهبط السلم

عندها فقط يتحرر من الصخب المحيط به ويستسلم لظلال
الصيف الناعمة قبل أن يعمد كل ما حوله من جديد لاستفزاز
إيقاعه الهادئ!

يهرب من الزحام

و حين يغلق عليه باب حجرته

يسمعه الجيران لساعات طويلة

و هو يستعطف آخرين

و يرجوهم المغادرة

كانوا متأكدين أنه وحده

و أنه لا يعرف أحدا

بعد دقائق

يسمعون أصوات أقدام

تهبط السلم .

* عماد فؤاد . بكدمة زرقاء من عضة الندم . نص (وحدة)





مصباح الأخطبوط





www.alkottob.com





إنها الكوابيس . يصحو فزعا من نومه . امرأة لها رأس عجوز
غاضبة وجسد أخطبوط صغير . تطارده عبر دهاليز منزل مظلم
مهجور منذ عقود . تدافع في أرجائه الفئران المذعورة . تمتد ذراع
الأخطبوط الخامسة نحو رقبته لتنطلق صرخات حادة باعثة على
الرعب ويستمر لهائه الأزلي . في النهاية يتعثر بملف أحمر ضخم
فيهوي على الأرض لتلتقط سقوطه ابتسامتها الماكرة المنبثقة
من شعورها الخفي والعميق باللذة .

أخذ ينتحب . العرق البارد تنحدر قطراته على ظهره كدموعه
المنحدرة نحو ذقنه . أضاء مصباحا جانبيا . الأوراق المكسدة على
المنضدة تشبعت مساماتها برائحة جسده المضطرب . يفكر في
اللجوء إلى حضن أمه كمالاذ أخير . يخطو خطوته الأولى ثم يتراجع
متخيلا الأخرى وقد قامت بتعذيبها وأخذ مكانها على السرير .
يدرك أنه لا ملاذ .





جاء الصباح ليضع حدا لعبث الليل وأرق الليل وقلق الليل .
يتوجه لعمله . في المصعد بيتسهم مجاملا زميله الثرثار . يتجاهل
نظرات الاشتمئزاز المصوبة من زميلته الأنيقة لحذاءه الأزرق القديم .
أحدهم يحدق في السقف المعدني للمصعد حتى لا يقع في فخ
النظر لفتنة الزميلة المشمئزة .

على مكتبه نبتة صبار ضئيلة صائمة منذ عام وعليها الصمود
عاما آخر . بلهجة حازمة تطلب منه مديرتة أن يزودها بمراسلات غير
مهمة تذكر أنه تخلص منها مؤخرا .

- فقدتها . (قالها ببراعة وهو ينظر للأسفل) .

- لقد يئست منك ! . (قالتها بغضب وخرجت) .

يتوجه إلى دورة المياه . تروق له مشاهدة المياه النقية المتدفقة
من الصنبور المعدني وقد جرفت أثار الصابون من يديه لتكمل
رحلتها نحو فنائها ملوثة بشوائب النهار وذرات الغبار .

إحباطات العمل . مؤامرات زملائه ومنافسيه . عنصرية مديرتة .
غريته المحاطة بسياج من الغرابة . حنينه إليها أحيانا . صورة والده
المشوشة . سنواته الثلاثون الباهتة . حذاؤه الأزرق . ابتسامته الخجولة
. أمه الأرملة . سخرية جيرانه . كابوس البارحة . وسامته في المرأة
. المياه السوداء في حوض الغسيل . شعوره بأنه ريشة في مهب
الريح . أشياء عديدة تقوده برفق نحو منحدر البكاء الصامت . يطفو
كرسيه ومكتبه فوق بركة ماء خضراء كونتها دموعه .. يتصل





بعمال النظافة حتي يجففوا آثار انفجاره العاطفي وليكمل هو
إحصائية القسم الأسبوعية بهدوء وسلام .

في المنزل بعدما تناول عشاءه المكون من طبق الأرز الأبيض
وكأس عصير التفاح . جلس على مقعده المفضل وأخذ يقلب ألبوم
الصور العائلية ثم تئأب وخذ للنوم .

لم يعد يرى فيما يرى النائم من أحداث حياته الماضية أو الأماكن
التي زارها يوما . بل لم يعد يتبين وجه أمه المنير . يحلم بطفل
ملتصق بأمه . يمشيان ببطء وسط حديقة ذابلة الأزهار ميتة
الأشجار . في السماء سحب بيضاء تتراكم مختلطة ببعضها
مكونة أشكالا مفرحة . يركب الأرجوحة . تمسك أصابعها بحبال
الأرجوحة الجانبية . تدفعه بقوة نحو الأمام . يرتد بقوة أكبر نحو
الخلف . تبتعد ثم تقترب . يتوسلها أن تتوقف فلا تستجيب . يغمض
عينيه حتي لا يصاب بالدوار فيقع . فجأة تنقطع حبال الأرجوحة
وتتلقفه من بعد امرأة لها رأس عجوز غاضبة وجسد أخطبوط
صغير . في أحضانها يتحول إلى رجل ناضج تهدده وتناغيه
بحنان غامر . يحاول التخلص من أذرعها الملتفة حول أضلعه فلا
يستطيع . يجرؤها أن تحرره فلا تستجيب . في النهاية يستسلم
لها . يلتحم بضعفه ويفكر في مصير نبتة الصبار الضئيلة التي
ستبقى صائمة أعواما مقبلة .





www.alkottob.com





صدأ





www.alkottob.com





منذ ساعات وأنا أنزف . على السجادة الفارسية المشجرة بقع
قائمة لا سبيل لتطهيرها . كيف انزلقوا مني ليتوسدوا الأرض
حول قدمي الخافيتين !
أنحني فوق أكبر البقع محدقة في خلاياي الملونة المنتحرة
بشكل جماعي بشع . خواء لذيد يتمدد تحت قميصي الأبيض .
وروحي المستسلمة لوهج التجربة تتدحرج بين ألق الاشتعال وألم
الانطفاء .

(سلسلة مفاتيح تلتف حول إبهامي كأفعى ... تقفز دمعة من
عين مرافقة بلا غد ... مدرسة اللغة العربية التي أبغضها تربت
على كتفي بحنان بالغ وتتمنى لي نهاية أسبوع سعيدة . انكمش
في ممر المدرسة الطويل ذلك الشتاء نافذة تطل على شارع هادئ
لا أبصر عبرها سوى رؤوس الأشجار المسنة الضحكة الأولى





وتخليقها في فضاء ضيق ... منبهي الذي قذفته بقوة نحو الجدار
لتخرج أحشاؤه المعدنية منهية نوبة غضبي .. مدفأة كهربائية
تعجز عن إذابة الثلوج المتراكمة فوق قلب الصبية) .

سوائل مختلفة الألوان تسيل من جميع الثغرات والشقوق
مكونة بركا متفاوتة الأحجام . يجب أن أنظف المكان قبل أن
يصلوا كي لا أثير علامات الريبة . إن فشلت المحاولة سأكذب وأدعي
أن أطفال الجيران زاروني كي نحتفل وأحضروا معهم زجاجاتهم
الملونة ومحاليلهم السحرية وأثناء انهما كنا باللعب تساقطت
الزجاجات على الرخام الأسود . خرج الأطفال لإطلاق ألعابهم النارية
وتركوني وحيدة مستلقية على الأريكة ألعق جروحي للزجة .

(سلالم وخطوات مسرعة لها صدى صاحب ثم فجأة تتزلق
الأقدام بقشيرة موز وتنقلب رحلة الصعود إلى سقوط دام ...
مشاجرة عنيفة تنتهي بكرامية لا تزول ... شخص بعيد ونبيل
أدعو له في صلواتي ... سرير أبيض في مستشفى مزدحم بالمرضى
وتساؤلات قلقة حول الصحة ... وجوه هائنة لم تعرف سوى الرضا
وأخرى تلتصق بها أقنعة سميكة لم أتمكن من فك رموزها ...
حشد من الرجال أعبر بينهم مذعورة ... أشخاص يمنحوني القوة
وأخرون الخيبة) .





سكين طبق الفاكهة في يدي تلسعني وخزاتها . أمسح
حبات العرق عن عنقي . أبواق السيارات في الخارج تثير سخطي .
متي يتوقف النزيف !؟

(تنفجر النواة كل منهما في بلد وأنا في منطقة عنق الزجاجة
أرقب المعركة ببراءة وإيمان ... رسالة قصيرة تصل منها في الأيام
السوداء أخبرتها تحت وسادتي كي تطرد الكوابيس ... فجأة على
أن أكبر وأكبر إنها الحرب ... سرداب واسع ومذيع لا أطيق الاقتراب
منه ولعبة شطرنج قديمة لقتل الوقت كامات ومياه مخبأة
في البراميل أنا وهي تتشكل ملامح صداقتنا أهرب منهم
أجأ إليه ... قريبتى الطيبة تزودني بنصائحها الذهبية وأشعر أنها
أختي التي أرسلتها السماء) .

طرقات عنيفة على الباب من الأفضل جاهلها . ليبحثوا عن
منزل آخر وامرأة أخرى للزيارة . أشعر بوهن وأحتاج يدا تسندني
وأخرى تجفف برك الدماء والدموع . تلملم بقايا القصص وأشلاء
الصور ونهايات الأحاديث المتبورة .

(رائحة جميلة تملأ أنفي والقاعة مكتظة بهم . يتحركون
بخفة وأنا جالسة وسط الدائرة ... سهرة طويلة تنتهي بالمشاحنات





.... حقائق سفر وتذاكر طيران ... أوراق بيضاء تدعوني أن أكتب
وأتكاسل ... نوم عميق وجمعة بعيدة تتوسل إلي أن أنهض .. انبهار
يتحول إلى انهيار ... فراشات ضوء تحترق وتتساقط على طاولتي
... كريات كريستال في صندوق مخملي ... قطرة ماء مهاجرة من
بئر تم ردمه .

ذبابة حوم حول رأسي يزعجني طينها . في هذه الأمسية
مَن المُصر على قطع طريقي وبترا أفكاري؟! دخان الذكريات
طوقني والرحلة قاربت على الانتهاء ولم يحدث سوى أنني غصت
في أعماق العالم الأول .

321) ... تفاحة خضراء ... لوحة مقلوبة ... بناير الماضي .. مشهد
من فيلم أجنبي سخيف .. بوح بلا سياج ... نظرات ماكرة ... غيوم
متلاصقة ... حطام ناقلة نפט مدافن مهجورة ... شخص يهزأ
بي ... كتاب أتأثر به .

صداع عنيف يهز جمجمتي . آخر قطرات الدم تستعد
للمغادرة . نزيف ... نزيف .. منذ ساعات وأنا أنزف .. من يوقف
النزيف؟! .





www.alkottob.com





www.alkottob.com





عن " الأشياء "

" أول انطباع يتكون في الذهن بعد قراءة المجموعة هو سعي المؤلف بدرجة كبيرة إلى بناء علاقة قوية بين نصها وقارئها الذي يعد من الأبطال الرئيسيين الحاضرين بقوة . "

هدى الدغفق (الحياة)

" لعل هذا الاغتراب الذي تعيشه باسمه كعاشقة للحياة . ومدافعة عنها . لم يمنعها من أن تعبر عنه في كتابها بشكل جلي . فالأبطال يعيشون حالة اغتراب مستمر .. وحالة سوربالية من التداخل ما بين الواقع والحلم والوهم في مخيلتهم .. ! " .

أكرم شاهين (الطليعة)

" يشعر المرء عادة بتعب العبارة في النصوص . لكن في أشياء يشعر بتعب الكاتبة وارتباكها قبل النص نفسه . وكأنها لم تكن تريد له الولادة " .

علي الرز (الرأي العام)

" باسمه العنزي كاتبة هادئة جدا تحاول من خلال لغتها العذبة أن تترك مساحة كافية للهدوء الذي يروض العاصفة . استطاعت بكل اقتدار أن تضع بصمتها الخاصة معتمدة علي لغة شديدة الحساسية وعلى تقنية زئبقية يصعب الإمساك بأطرافها ما لم يكن المتلقي مستعدا للتعامل مع أجوائها الغرائبية " .

خلف الحريري (الغدير)

" باسمه العنزي أحد القلائل المتميزين إبداعيا على مستوى المشهد الأدبي في الكويت الآن . وربما أكثر مستقبلا " .

صلاح دبشنة (القيس)

" إن قلم باسمه العنزي جديد متمكن . وهو قادر على أن يدافع عن صاحبته . التي عاجلت قضايا آنية بأسلوب شاعري بصير . وهي تضع النقاط على الحروف بثقة واقتدار " .

عبد الله الشيتي (مجلة النهضة)

- الأشياء . الإصدار الأول للكاتبة . الكويت 1998 . المجموعة الإعلامية العالمية .





www.alkottob.com





النصوص

- 9 رؤى موجعة
- 19 حياة صغيرة خالية من الأحداث
- 27 عنوان قديم
- 35 في آخر الدرب المعتم
- 41 يوم طويل
- 49 بلا رائحة
- 57 حلم يبرق
- 65 غبار الخارجين من نهاراتنا
- 71 مصباح الأخطبوط
- 77 صدأ





www.alkottob.com

